

الفصل الثاني



مسؤولية الآباء الاجتماعية
مع طفل ما قبل المدرسة

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

أولاً : كيف ينمو الولد الناشئ ويتعلم

ليس الولد مصغر الرجل الراشد. ومهما يبدو هذا القول واضحاً . فإن الاعتقاد بأن الولد مصغر الرجل كان طريقة لسلوكنا تجاه الأولاد لعدة سنين خلت. لقد اعتقدنا بأن الولد ينمو فقط بزيادة الحجم والوزن وقد أسأنا فهم العملية الكاملة للنمو الجسمي والعاطفي والعقلي.

إن من أكثر معطيات علم نمو الولد فائدة وحيوية معرفتنا بأن الأولاد لا ينمون جسمياً فقط، بل يتغيرون دائماً تغيراً كلياً. وغالباً ما تكون هذه التغيرات التي تحدث نتيجة للنمو، غير مرئية في الظاهر. فنمو الغدد مثلاً ونمو بعض العضلات لا يكون ظاهراً، كما هي الحال في نمو إحدى الوظائف الداخلية للجسم، كجهاز الهضم والتبرز والنوم والعمليات المرتبطة بها، والتي تنمو

بصعوبة تدريجية ومتزايدة. أن هذه التغيرات للنمو تنعكس جميعها في سلوك الولد العام، وفي ميوله العديدة، وفي مهاراته ومقدراته . أن أكثر ما يحب الوالدان أن يسدوه إلى أولادهم من المساعدة الرشيدة، يتوقف على إدراكهم وتحقيقهم لبوادر النمو ودلائله. فهي خير دليل مباشر في تنشئة الولد وتربيته.

أننا نعلم اليوم ، أن عملية النمو والتطور هي عملية منتظمة. فكل ولد يمر في سياق واحد للتغيرات يبدأ من الحمل ويستمر حتى سن الرشد. ونستطيع أن نعتمد على هذا السياق كما نعتمد على معرفتنا أن الربيع يلي الشتاء، والصيف يلي الربيع، إلا أن كل ولد يمر في هذا السياق للنمو حسب سرعة سيرة فيه . إن حجمه وشكله ووزنه ومظهره ومزاجه وقابلياته وشخصيته تنمو حسب طريقته الخاصة به.

تصور جماعة من البنات والصبيان مسافرين من نيويورك إلى كاليفورنيا مثلاً. فقد يذهب اثنان أو ثلاثة منهم بالطائرة. فيقطعون المسافة بين المدينتين بسرعة فائقة وربما ذهب آخرون بالقطارات السريعة ، فيصلون بعد من سافروا جواً.

وقد يذهب العدد الأكبر منهم بالقطار العادي، وبالرغم من محطات الوقوف التي تكثر أو تقل فانهم يصلون إلى كاليفورنيا في الوقت المحدد.

أن كل ولد يصل إلى كاليفورنيا بعد أن قام بهذه الرحلة حسب وسيلته الخاصة، سيبين للآخرين محاسن ومساوئ واسطة النقل التي سافر بها. هذا المثل المبسط جداً يبين لنا أن الأولاد بالرغم من سيرهم في النمو نحو سن الرشد، فإن لكل واحد منهم في نموه قوالب خاصة به . فهو يدفع الثمن ويجني الثمرات المادية والمعنوية من نموه.

ثانياً: خطوات أو مراحل النمو

أن عملية النمو الدائمة يمكن أن تقسم إلى خطوات أو مراحل، وقد تكون هذه المراحل أكثر أو أقل تحديداً حينما نصنف الأولاد بالنسبة إلى تاريخ ولادتهم أو بالنسبة لعمرهم الزمني. وقد تتكلم من جهة أخرى عن "مراحل التطور"، وتعني بها التغيرات التي تحدث على وجه التقريب في أعمار معينة لكنها تفسر عملية النمو نفسها.

أن مراحل طبيعية كهذه تظهر مثلاً في قدرة الولد على الوقوف، أو تعلمه المشي أو الكلام. هذه البوادر تشير بوضوح إلى نمو قدرات جديدة.

أننا نؤكد على هذه النقطة لمساعد الوالدين على أن يدركوا أن المخططات أو مقاييس الطول والوزن والتحصيل الموضوعية لجماعة في سن واحدة، ليست مقاييس صحيحة لكل ولد على حدة. أن هذه المخططات والقوائم تسمى (norms) "نسب" أو "معدلات" وغالباً، ما يقلق الوالدان إذا ما وجدوا إن ولدهم لم يبلغ النسبة أو المعدل المعين لعمره أن في الطول أو الوزن. وقد يشعر الوالدان حينما يكون الولد متقدماً سنة عن المعدل في النمو الجسمي أنه يجب أن يتكافأ عقلياً واجتماعياً ومن هم أكبر منه سناً.

أن الولد يجب أن يتبع قالب نموه الخاص به، والذي لا يمكن أن يقرره أو يحكم عليه أي مخطط عام. إذ أن مخططات النمو ما هي إلا تحليل عام فقط. هي شروح حول معدلات متوسطة وليست للأفراد. فإذا قلنا مثلاً إن العائلة الأميركية تحتوي على معدل ولدين ونصف. فهل هذا ممكن؟ وهل تكون عائلتك شاذة إذا كان لك خمسة أولاد؟.

هناك عدد من "نقاط التحول" مهمة لفهم تطور نمو الولد، وفي أثنائها يتحول الولد في نموه تحولاً ظاهراً: فيصبح أكثر نضجاً في صفحات معينة، وفي حين أن صفات المرحلة الجديدة لنموه تنشأ وتتكون، تستمر بعض صفات المرحلة التي تسبقها في الظهور مدة طويلة.

فالطفل مثلاً في أواخر السنة الأولى يصبح قادراً على (الخبز) ثم يتحول إلى ولد قادر على المشي، وبعد زمن ليس بطويل يصبح ولداً مستعداً لدخول المدرسة.

هذه هي بعض نقاط التحول الأولى. وكل ولد يصل إليها حينما يصبح مستعداً للتجول والتغير. وفي كل واحدة منها ينظر الولد ويتصرف ويتحرك بطرق جديدة، في حين أنه ما يزال في الظاهر ذلك الولد نفسه.

واليوم نحاول أن نفهم طبيعة هذه التغيرات ليتسنى لنا أن نوفر لكل ولد ما يحتاج إليه في البيت والمدرسة لينمو وينضج حسب طريقته الخاصة. وبما أننا نعتبر أن مراحل النمو هذه مهمة جداً بالنسبة للوالدين والمعلمين، فيجب أن يتضح لهم أن الولد لا يحب أن ينمو وينشأ ويتعلم فقط، بل يحب أن

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

يتهيأ له الجو لينمو فيصبح تدريجياً الشخص الذي يجب أن يكونه حينما يصبح رجلاً بالغاً.

لقد وجد الأطباء وعلماء النفس أن الكثير من العاهات والعيوب والانحرافات ومشاكل السلوك كانت نتيجة للتدخل في عملية نمو الولد. ولإنكار حاجاته وحجز وتعطيل قابلياته. أن المشتغلين مع ذوي المشاكل من الأولاد، يزدادون تأكيداً من ضرورة إطلاق قابليات النمو لدى الولد حتى يصبح قادراً على حل مشاكله بنفسه. وهذا يعني دائماً أن على الوالدين أن يساعدوا الولد وذلك عن طريق فهمهم لمشكلاته.

أن الانحرافات التي قد تصيب الأولاد وتحير الوالدين وتقلقهم، قد تصبح ذات معنى، وتنطوي على إمكانية إعادة الهدوء والانسجام إلى نفس الولد إذا ما تأكد الوالدان بأن تلك الانحرافات ما هي إلا جهود يبذلها الولد لمواجهة مواقف معينة، قد تكون خارج حدود طاقته.

من هذه المعطيات ندرك مدى أهمية أن يعيش الولد عيشة صحيحة سوية في كل مرحلة من مراحل نموه. وأن لا يكون مدفوعاً إلى النمو، ومحروماً مما هو ضروري له، أو مما يرغب به ويحبه. كما يجب أن لا يمنع الانتقال إلى مرحلة النمو التالية حينما يكون مستعداً لها.

هذا يعني أن أحسن إعداد للولد من أجل المستقبل أن يعيش حاضرة وأن يحقق ذاته، وأن يعمل في كل مرحلة من مراحل النمو بطريقة تساعد على التغيرات التي تتطلبها مرحلة النمو التي تلي تلك يكون فيها.

ففي ضوء هذه النظرة لا تكون تنشئة الولد وتربيته عملية يرغب فيها الولد على النمو حسب مدركات مسبقة. إنما هي مساعدته في نموه التلقائي. وهذا يعني إننا حينما نعمل مع الولد يجب أن لا ندفعه دفعاً، بل نعتمد على قابلياته للنمو، ورغبته وميله في أن يكون إنساناً اجتماعياً.

ثالثاً: الفروق في النمو

أن طريقة الولد الخاصة في النمو، قد تتحكم في سلوكه وفي تعلمه في البيت والمدرسة وقد تؤثر في الطريقة التي يعمل بها عملاً ما، أو في تلك التي يظهر بها الخوف والغضب والألم. وهنا مثلاً لما نعينه، خذ ولدين كسالي وجيري اللذين هما تلميذان في صف واحد، وبالرغم من إنهما سويان إلا الواحد منهما يختلف عن الآخر.

فسالي، مثلاً فتاة بطيئة الحركة تأكل بتأن، حركاتها منسجمة بصورة جميلة. وطريقتها في المشي لا تخلو من الرشاقة والاتزان حتى حينما كانت في سن الثانية. لكنها بلا جدال "بطيئة" على العموم. ويبدو كأن هناك علاقة فسيولوجية بين حركات سالي البطيئة وبين بعض مظاهر نموها العضوي. فقد ظهرت أسنانها متأخرة ولدة من الزمن قلقت أمها لأن، سالي لم تكن نشيطة كمعظم الأطفال الذين هم في سنّها، إذا كانت بطيئة في تعلم الكلام والمشّي. لكنها حينما تعلمت في النهاية الكلام والمشّي كان كلامها واضحاً ومتقناً، ومشيتها متزنة كمشية الملكات.

وفي دار الحضانة كانت سالي تبدو بطيئة في كل شيء. فحينما يصبح اللعب صاخباً كانت تنسحب إلى ركن هادئ، لتتصفح كتاباً أو تلهو بلعبة ما.

فيدرك المعلمون أن ما تفعله سالي ليس انسحاباً أو انكماشاً بسبب تعاستها، بل هو عمل من قبيل حفظ الذات، تقوم به البنت الصغيرة لتقي نفسها الأذى الذي تتعرض له بين جماعة من الأولاد يلعبون ويتحركون بسرعة فائقة.

فإذا فهم المعلمون والوالدان سالي، فما هي بعض الأخطاء التي يستطيعون أن يتجنبوها، حينما تذهب سالي إلى المدرسة؟.

أولاً : يجب إلا يدعوا أن عقل سالي متأخر في النمو بسبب تأخر حركاتها الجسدية (وقد دلت اختبارات الذكاء على أنها ذكية جداً) . وثانياً : أن لا يدعوا، حينما تتحرك سرعتها الطبيعية، أنها تحاول عمداً أن تضايق الكبار ببطئها. فقد يكون أكثر سهولة للآم أن تطعمها أو تلبسها من أن تتركها تفعل ذلك بمفردها.

أن المعلمة التي لا تراقب سالية بدقة وانتباه يمكن أن تعتبرها فتاة غير اجتماعية ومنكمشة على نفسها. في حين أن سالي على العكس من ذلك إذا أن لها رفاقاً تحبهم ويحبونها وتستطيع أن تلعب معهم حسب سرعتها.

وحينما يقع خصام في البيت أو المدرسة، لا تشعر سالي بأنها قادرة على الاشتراك فيه فتراها تعبس، وعبوسها هذا كالدموع التي تعبر عن الانفعال لدى ولد غيرها. فعلى الوالدين والمعلمين أن يتجاهلوا عبوسها أو يتركوها عابسة إلى أن ترضى وتصبح مستعدة للعودة إلى رفاقها.

وحينما تصبح سالي، في المستقبل، واحدة بين جماعة من الأولاد في سن السادسة والسابعة والثامنة، ويكون هؤلاء الأولاد قساة لا يخضعون للنظام، ستكون حتماً غريبة بينهم وتعيسة، ما لم تدرك معلمتها ووالداها بأن لديها

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

الفرصة لتلعب حسب رغبتها وميولها، وأن تشترك في نشاط الجماعة بالطريقة التي تناسبها.

خذ جيري مثلاً الذي هو نوع آخر من الأولاد، أن قوالب نموه أيضاً تؤثر في تكييفه وانسجামه مع المدرسة، فهو محب لرفاقه، ثرثار، وأكبر قليلاً من ابن الرابعة، كثير الاهتمام بالناس والأشياء التي تحيط به، إلا أن نموه العضلي متأخر وغير منتظم. ففي دار الحضانة حيث يستطيع غيره من الأولاد أن ينطوا ويمرخوا ويركضوا ويتشقلبوا، ويدقوا وينقروا، ترى حركات جيري غير مستقرة. أنه يحاول جهده ليستمتع بالموسيقى لأن أمه في البيت تشجع جميع أنواع النشاط التي تجعل حركاته أكثر انسجاماً واتزاناً. وهكذا تراه في الفترة التي تسبق دخوله المدرسة الابتدائية سعيداً، فيعوض عن ضعفه وتأخره العضلي بالسعادة التي يشعر بها بين رفاقه.

إلا أن الأمر يختلف تماماً حينما يدخل جيري المدرسة الابتدائية ويلاحظ الأولاد أنه لا يستطيع أن يلعب كرة السلة، أو أن يرد الكرة إذا ما صوبت إليه . وهنا يبدأ قلقه من مكايده وهزء رفاقه به. فعلى المعلمة والوالدين أن يغتنموا الفرص ليشعروا جيري بأنه كفء كرفاقه في مجالات غير كرة السلة مثلاً.

ومن حسن الحظ أن لجيري رفاقاً عديدين طيبين له ميول لأشياء أخرى غير الرياضة البدنية. وهكذا فإن جيري لا يتألم كثيراً أو يهرب من اللعب مع الجماعة حينما يكون مع معلم حاذق حكيم والدين واعيين ورفاق طيبين. وعلى الرغم من أنه المربك له أن يبذل جهداً في باحة اللعب، إلا أنه اعتاد أن يفعل ذلك

بروح رياضية. قد لا يكون من السهل على الوالدين أن يفهموا أن التأخر العضلي لدى جيري يمكن أن يؤثر في تعليمه في المدرسة. إلا أنه من الممكن إذا من لم يعرض جيري عن تأخره وضعفه العضلي بنجاحة في مجالات أخرى من عمله ولعبة أن يصبح ولداً تعيساً حانقاً على جماعته، وغير قادر على الدفاع عن نفسه، وعن أي شيء له صلة بالمدرسة.

فعلى الوالدين أن يتأكدوا من أن الأولاد يختلفون بتأثرهم بالخبرة، حتى أن الأطفال الصغار يظهرون تفاوتاً في الطريقة التي يتجاوبون بها مع الألم أو الحرمان أو العناية التي ينالونها من الوالدين. فبعضهم يبكي بصوت عال حينما يحتاج إلى الطعام. وآخرون يتلهون بمص أصابعهم. وقد يعامل بعض الأولاد بقسوة، في حين أن آخرين يحتاجون إلى المعاملة اللطيفة، وتعود الفروق غالباً إلى الوراثة.

وفي حين أن الأولاد أكثر حساسية مما كنا نعرف عنهم في الماضي، إلا أن كثيرين منهم حساسون فقط تجاه الضغط والشدة والكلمات القاسية والإغابة من قبل الوالدين والأولاد الآخرين. فأنت مثلاً تجد ولداً يضطرب هضمه سريعاً من حادث مثير. ومنذ بلوغه السنتين حتى سليه الأخيرة في الكلية تراه يفقد شهيته للطعام قبل أو بعد أي امتحان من الامتحانات، أو قبل رحلة مثيرة أو لعبة بهيجة. وقد لا يعكس أبداً الجهاز الهضمي لولد آخر أي اضطراب، بالرغم من أن أي ضغط شديد قد يؤثر على سلوكه في المدرسة، فتراه في يوم ما تلميذاً هادئاً، وفي اليوم الثاني مشوشاً مضطرباً، أو قل صبيّاً صغيراً معتدياً.

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

وقد تجد مثلاً ولداً آخر لا يقدر على تحمل كلمات الغضب حتى ولو كانت موجهة إلى غيره. فقد تشكى ولد صغير من المدرسة بقوله: " أن المعلمة ليست لطيفة مع أصدقائي ". وهذا ما أزعجه كثيراً. وقد لا تعتمد المعلمة أن تكون غير لطيفة، أو لعلها كانت قاسية مع بعض الصغار الذين كانوا يثيرون الضوضاء في أثناء القراءة. إنما لم تكن معلمة تفرض العقاب وتقسو بكلامهما على الأولاد.

وقد تجد في البيت ولداً ينكمش حينما يكون هناك خصام في العائلة فيشعر بالنعاسة لمجرد رؤية أحد والديه غضباناً. في حين أنك تجد والداً آخر محاطاً بالغضب والسباب هنا وهناك دون أن يتأثر بذلك أو ينزعج منه.

رابعاً: النمو الجسدي

كيف ينمو الولد، يا ترى، قبل أن يدخل إلى المدرسة، وكيف يظهر لنا أنه مستمر بالنمو والتعلم؟

أن الولد الصغير ينمو قبل الدخول إلى المدرسة بسرعة فائقة. وحينما يزداد حجماً وطولاً ووزناً يصبح أكثر حيوية، ويتحسن نموه العضلي. فيعلم كيف يتدبر أمره بالنسبة إلى الأشياء والناس. فكل جزء من جسده، وكل حاسة من حواسه الخمس، هي وسيلة للنمو في السن التي تسبق دخوله المدرسة. فتراه يحاول الوصول إلى كل شيء. أنه يحاول الصعود مثلاً، وإذا ما أراد أحد أن يوقفه أعاد الكرة ثانية. كل ما يحس به جديد بالنسبة إليه. فالإحساس بالبرد والحرارة والنعومة والخشونة، وتألق الضوء والأشياء التي تتحرك، سواء كانت حشرات أم سيارات. كل هذه الأمور هي بمثابة حوافز لتعلمه. فهو يتجاوب مع هذه الحوافز، ونحن بدورنا نضبط ونقولب تجاوبه معها بما نفعله له. فإما أن نعطيه أدوات للتعلم يستطيع أن يستعملها بحرية، أو نحرمه منها. وأما أن نفسح له مجالاً للكشف، أو نضيق أمامه المجال فلا يتحرك بحرية.

خامساً: البيئة

أن ما نمد الولد به، وما نفعله له، وما نقوم به من أجله، يكون بيئته الأولية. وهذه البيئة بما فيها الوالدين تحدد المادة التي يتعلمها الولد، والطريقة التي يتعلم بها هذه المادة في المستقبل. فحينما يحاول أن يصل إلى الأشياء، وأن يكتشف ويتفحص خواص المادة والمكان فهو يتعلم السيطرة على نفسه. وإذا قلنا له مثلاً: " أن هذه الأشياء ممنوع لمسها وتلك مسموح لك أن تلعب بها، أو تستطيع أن تصعد هنا، وممنوع صعودك هناك. أو أركض على الرصيف ولا تمش في وسط الشارع". فكأننا بهذه الأقوال نقود الولد إلى الأمكنة الصالحة والمناسبة ليلعب فيها، وفي الوقت ذاته نسمح له أن يمارس فضوله ويستعمل أطرافه.

وأحياناً كثيرة نقيم أمام الولد حواجز إذا نقول له " لا "، ونبعده عن كتاب يلهو به أو عن كرسي أو ما شابه ذلك. واضعين هذه الحدود بقسوة أمامه، فإذا لم يكن الولد من النوع المسالم، وإذا لم تفسح له مجالات أخرى للعب، فهو مجبر على العصيان وسوء السلوك، لأن الولد الذي يملك قسماً معتدلاً من النشاط والحيوية والرغبة والفضول، يجب أن يتجاوب والحوافز المحيطة به. إذا لا سبيل آخر من أجل النمو والتعلم غيرها.

من الممكن أن يرشد الولد إلى المجالات الصالحة المناسبة له، إنما يجب أن

لا يغرب عن البال أن نموه يعتمد في الأساس على نشاطه بجميع أنواعه. وحيويته تتحرى دائماً منفذاً لها سواء كان هذا المنفذ مسموحاً به له أو محظوراً عليه. أن جزءاً كبيراً من هذه الحيوية ينصرف أما في مقاومة الكبار الذين يجدون نشاطه أو في تخطي الحواجز التي توضع أمامه. أو أنه يصرفه بارتياح وهو يختبر الأشياء مسترشداً بتوجيه الأهل الرشيد.

أن الولد الناشئ وحدة عضوية متكامل، فلا نستطيع أن نغذي نموه الجسدي دون أن تأخذ بعين الاعتبار نموه الاجتماعي والعاطفي. فالأطباء اليوم مثلاً لا ينصحون " بزيادة كمية الأكل أو تغييره لولد قليل الشهية لا يحب أن يأكل، بل يسألون لماذا هو جائع، وما الذي يقلقه ". لأنهم يعلمون أن الولد السعيد لا يعزف عن الطعام إلا في حالات سوء التغذية والإهمال الصحي الكامل، وإذا ما بدا الولد بليداً فاتر الهمّة، فأنك تسمع المختصين بإرشاد الولد يقولون : " لماذا هو غير فضولي ولا يتجاوب مع غيره؟ كما يتساءلون لماذا لا يريد أن يلعب؟ " لأنهم يعلمون أن الأولاد الصغار يحبون عادة أن يلعبوا ويكتشفوا ويختبروا.

أن الاتجاه الحديث سواء في البيت أو في عيادة الطب لا يفصل بين صحة الولد العقلية وصحته الجسمية. إذ ليس من الممكن ملاحظة إحداها منفصلة عن الأخرى. فالنمو علاقة وثيقة بالتعلم . ولدي أية صعوبة تنشأ عن التعلم، سواء تعلم الحساب أو تعلم العيش مع الآخرين، فإن المعلمين وعلماء النفس يدركون أن الصعوبة لا تزول بزيادة الجهد والعمل مع الولد في مجال التعلم المذكور. بل يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار بيئته بزواياها جميعاً، كما يجب أن تراعى خواص نموه لمساعدته في كل ما يعترضه من الصعوبات في التعلم.

سادساً : الولد من السنة الثانية حتى الخامسة من العمر

حينما نراقب ولداً من السنة الثانية من عمره حتى الخامسة، نرى كيف ينمو هذا الولد ويتزعرع، وماذا نستطيع أن نطلب من ولد في السن التي تسبق دخوله إلى المدرسة، وماذا يجب أن نتوقع منه، وكيف يمكننا أن نوجه قابلياته إلى قوالب من السلوك مرضية.

فقد تبين لنا دائماً أن الولد الذي كان وهو طفل نشيطاً فضولياً وجريئاً قد يصبح في مثل هذه الفترة من العمر خجولاً جباناً، فاقد التلقائية والنشاط. كما أن الولد الذي كان طفلاً مرحاً محباً وقادراً على التخلص من اضطراب عاطفي قد يصبح مزعجاً أو اتكالياً في جميع أفعاله. وقد يظهر ردود فعل عاطفية متكررة أو احساسات سلبية.

أن هذه الفترة، في الغالب، على جانب عظيم من الأهمية في نمو الولد ، حيث لم يعد الولد ذلك الطفل الذي يلعب كل إنسان معه ويستمتع به، بل يصبح ولداً نشيطاً كثير الحيوية. وفي كل ما يبذله من الجهد في سبيل النمو تراه غالباً يمتحن صبر والديه بشدة، ويتعرض المرة بعد الأخرى للوعيد والزجر والتوبيخ والعقاب . ليس من الضروري أن تصبح الفترة التي تسبق انتساب الولد إلى المدرسة امتحاناً للقوة أو معركة مستمرة إذا ما أدركنا ما يحاول أن يفعله

الفصل الثاني

الولد، وماذا نتوقع منه أن يفعل، وما هو مقدار الصعوبة بالنسبة إليه ليحقق ما نتوقعه منه. وبفهمنا للولد نستطيع أن نتجنب الكثير من المتناقضات التي نتعرض لها في أثناء تربيته، فنساعده على أن ينمو ويتزعرع دون أن يفقد شجاعته الفطرية وإحساسه بالمودة، واتزانه العاطفي، وتلقائيته.

تعلم الولد السيطرة على عضلاته

يتعلم الولد فيما بين الثانية والخامسة من العمر السيطرة التدريجية على عضلاته.

فيتعلم الاتزان في الحركة عامة، كما يتعلم الصعود والركض، وتكيف حركاته بالنسبة لقوة العربة التي يسحبها، أو حجم المكعب الخشبي الذي يرفعه، والسلم الذي يصعده، وما شابه ذلك. ويساعد هذا النمو العضلي بأنواع النشاط التي لا تتطلب حركات صغيرة وممدودة، بل حركات تستعمل ذراعي الولد وساقيه أو جسده بكاملة. فابن الثالثة مثلاً يكون قادراً على نق مسمار كبير في قطعة من الخشب.

كما يستطيع أن يلون بارتياح على ورقة كبيرة بفرشاة كبيرة. وإمساكه بالقلم الكبير اسهل من إمساكه بالقلم الصغير، انه لا يقدر أن يدخل زرا صغيراً في عروة لكنه ينجح في تزرير الأزرار الكبيرة في العرى الواسعة. كما يستطيع أن ينظم حبات كبيرة في سلك معدني ثخين. ولا يستطيع أن يعقد رباط حذائه إلا بصعوبة وتركيز طويل.

ان هذا النمو العضلي يسير بسهولة إذا ما نحن شجعنا أولادنا على

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

المشي والركض والصعود، وزودناهم بألعاب مناسبة ولم ننتظر منهم نموا سريعا للعضلات ذات الوظائف الحركية الدقيقة. فيحل أن لا يشعر الولد بالخيبة إذا لم يستطع تزيير ملابسه أو ربط حذائه . فهذه الفترة من النمو هي مجال واسع لاعمال يمكن أن يقوم بها الولد ويكافأ عليها، كأن نحفره ليتسلق الأرجوحة ويركب الدراجة أو يرفع العلبة الثقيلة، ونستحسن ما يقوم به في هذه المجالات.

وان نأخذ بيده إلى المجالات الآمنة، كالحديقة العامة وحديقة البيت وباحته، ليلعب فيها. وان لا نوبخه إذا ما اخطأ في التسلق والصعود على أشياء يحب أن يصعد عليها، أو إذا ما دق المسمار في الحائط بدل أن يدقه في لوح خشبي، وهكذا يتعلم الولد تدريجيا أن يلعب في المجالات المناسبة له.

وينمو الولد ولا يعرقل نموه شيء إذا ما منح الأمكنة المناسبة للعب والأشياء الصالحة للدق، وكان نشيطا مملوءا بالحيوية لا يعكره عدم الرضى والاستحسان. ليس من الحكمة عدم تشجيع الولد على محاولات التسلق أو الركض، وتحذيريا له بالقول... ((لا تفعل هذا فستؤذي نفسك))، أو ((لا تصعد فتقع أرضا))، أو ((لا تحفر الأرض فتتسخ ملابسك)). ان تحذيرات كهذه تضايق الولد وتجعله قلقا تجاه النشاط الجسدي الذي يحتاج إليه من أجل نموه. ولهذا السبب، كان من الخير ان يشجع الولد على الحركة والنشاط. فنوفر له الأمكنة المناسبة للتسلق والركض، ونساعده إذا ما تعرض لمكروه، ونلبسه ملابس خشنة قابلة للغسل والتنظيف.

تعلم الولد تنظيم أوقات الطعام

كثيرا ما ننتظر من الولد قبل الخامسة من عمره أن يتعلم من ذويه العادات المكتسبة في أصول الأكل. كأن ينتظر وهو جائع، حتى يحين العشاء، أو أن يأكل الخضار أولا، والحلوى أخرا، أو أن يأكل ما نراه نحن نافعا، أو ما يجعله ينمو ويكبر.

فقد يتعلم الولد من الطريقة التي نعالج بها أكله ، أن الأكل عملية ممتعة ولذيذة، أو على العكس قد يتعلم أن أوقات الطعام تعني أن أمه حانقة عليه، أو أن الامتناع عن الأكل أمر لا ترضى أمه عنه. وقد يصبح الولد تجاه الأكل أما عصبيا قلقا أو مرتاحا وسعيدا بهز وذلك كله يرتبط بالطريقة التي يعنى بها الوالدان بأكل الولد وبتغذيته. ويجب أن يتذكر الوالدان أن سيطرة الولد على الجوع والشبع تكون في هذه الفترة التي تسبق دخوله المدرسة، كالسيطرة على عضلاته التي لا يمكن ان تفرض عليه فرضا. وفي الغالب نرى الأولاد الذين يأكلون بشهية وهم صغار تقل شهيتهم للأكل في سن الثانية، والثانية والنصف، والثالثة. وفي هذه الفترة على الأرجح يبدأ الوالدين بإرغام الولد على الأكل. وهذا ما يسبب ثورته وغضبه. لقد أصبح أطباء الأطفال، منذ زمن طويل ينصحون الوالدين بان لا يركزوا اهتمامهم على شهية الولد للأكل، بل عليهم أن يعنوا بكمية الأكل التي يجب أن يتناولها.

ضبط التبرز والتبول

يجب أن يتعلم الولد الصغير ضبط وظائفه الجسدية. فابن السنة الثانية مثلا قد يرسخ أو يبيل سراويله أحيانا لان نضجه في هذه السن لا يؤهله للسيطرة

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

على عضلاته الخاصة بالتبرز. وقد يتعلم ابن الثالثة السيطرة على عضلاته أكثر مما يتعلمها ابن الثانية، أو أن تهيجه وانهماكه بلعبة ما، أو بأشياء تحيط به، قد تنسيه أمر نفسه، فيتبلل ويتسخ سهوا عن غير عمد. لذلك يجب أن نشجعه على التبول حينما يكون جاف السراويل دون أن نعرضه للضرب والصراخ. أننا إذا ما ونجناه و أظهرنا له خيبة أملنا فيه حينما يخطئ في هذا المجال، اعتقد ان محبة أمه له مرتبطة بضبطه أوقات التبرز والتبول. فيعمق شعوره بالخجل والخيبة. وليس من المستحسن إخجال الولد في أي وقت كان خاصة إذا كان الولد غير قادر على التخلص من أخطائه. ان الكثيرين من الأولاد في سن الخامسة يتفوهون بما نسميه (كلما بذيئا)، فمزاحهم وأناشيدهم وسبابهم لرفاقهم وعربدا تهم الكلامية وهم على مائدة العشاء، تحتوي على قدر غير قليل من الكلام البذيء، والحركات البذيئة أيضا. ويجب ألا نستغرب هذا التصرف أو نصدم منه إذ أننا نصرف وقتا طويلا في تأكيده وتثبيته لديهم، وهو في الحقيقة دلالة واضحة على اهتمام الولد بضبط التبرز، وبالإضافة إلى ذلك، فالولد الذي يكثر المزاح حول موضوع (التبول) يحاول أن يظهر لنا انه كبير. فحينما كان في الثالثة من العمر وكان يبلل نفسه كان يشعر بالتعاسة إذ لم تكن القضية بالنسبة إليه قضية مزاح. لكنه حينما يبلغ الخامسة ويصبح واثقا من سيطرته على جسده ويخجل من أغلاطه الماضية، فهو يحب أن يظهر لنا تغلبه على مشكلات الطفولة- ومشكلة التبول واحدة منها- كالرجل الذي يضحك من سقطات وعيوب غير ليؤكد ثقته بنفسه. فابن الخامسة يكثر المزاح في هذا الموضوع مفتخرا، ليبين لنا انه كبير وتخرج من صف الأطفال.

أن الولد الصغير يشعر بدقة بما هو مهم بالنسبة لوالديه، ويدرك ما هي الأمور والأفعال التي تكسبه رضاهم، أو تسبب تعنيفهم له. وقد يكون ضبط التبرز بالنسبة للوالدين من أهم الأفعال التي يقوم بها الولد. ولهذا السبب فاكثرت ما يتركز قلقه في هذه السن المبكرة حول ضبط هذه العادة. فضبط الولد لها يعني كسبه رضى والديه، وعدم قدرته عليها يعني بالنسبة اليه التهديد بفقدان محبتها. وفي البيت الذي يلح بشدة على تعويد الولد ضبط التبرز يصبح الولد عصبيا معرضا للامساك. كما ان أي تأكيد شديد على هذه الناحية قد يعرض الولد الى ان يبذل ملبسه أو يوسخ فراشه، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فان التركيز على ناحيه واحدة من الضبط قد يجعل الولد عصياً تغيساً تجاه أمور أخرى.

أن ترك الولد يتعلم حسب ما يقتضيه نموه يحتاج إلى صبر وطول اناة من قبل الوالدين، إلا أنه هو السبيل الأكثر حكمة وتعقلاً.

سابعاً : الأوامر والنواهي

أن لدينا مقاييس معينة هي (الجيد) و (الرديء) و (الصواب) و (الخطأ) . وتتوقع من الولد الصغير أن يتعلمها بين السنة الثانية والخامسة من عمره . فيجب عليه مثلاً أن يراعي قواعد معينة للسلوك تجاه الناس وتجاه ملكية غيره . ففي السنة الثانية حينما تزداد حيوية الولد الجسدية، ترانا يقظين دائماً للسهر على سلامته فنبين له ما يملكه عمله، وما يعجز عنه، مع قليل من التمييز بين ما يستطيع أن يسحبه أو يدفعه أو يرفعه أو يلمسه أو يأخذه أو يأكله . ونستعمل لهذا الغرض شتى الوسائل كأن نقول له " لا " و " لا تفعل " أو " أفلعل " أو " هذه الحقيقية لأمك، وهذا الكتاب لأبيك، وتلك اللعبة لأختك، وهذا السطل وهذه المجرفة تخصان جوني " وقد نوبخ الولد أو نعاقبه أو نكون معه لطفاء وصبورين ونحن نراقبه .

أن الأولاد الصغار جميعهم يتعلمون ما هو الشيء الممنوع، أما مسألة مراعاتهم هذه الأمور الممنوعة ووقت هذه المراعاة فتتوقفان على أعمارهم وعلى شعورهم تجاه الكبار الموكلين بإرشادهم .

قد ينبش ابن الثالثة من العمر درج أمه ويلطخ المرأة بحمرة شفاهها، مدفوعاً دون تفكير بالرغبة والفضول، إذ لا تزال حقوق التملك غير واضحة في ذهنه .

وقد يدرك ابن الرابعة أن درج أمه محرم عليه، لكنه لم يتعلم بعد الكف عن خطف اللعبة الخلافة التي تعود إلى ولد آخر.

هناك نقطة مهمة يجب أن يتذكرها الوالدان وهي أنه، ليس ما يقوله الولد في أغلب الأحيان " صالحاً" أو " سيئاً " ولا حاجة أن نطلق على ما يفعله تسميات كهذه : فالولد الذي ينبش درج أمه ليس " خبيثاً " هو فضولي فحسب وهو لا يشعر البتة أنه يرتكب خطأ ما .

ففي حالات كهذه يمكنك أن تقول للولد : " ضع الأشياء في مكانها فهذا الدرج يخص أمك أو لا تلمس هذا الشيء فهو يخص والديك . وبحذفك التعابير " كصالح " و " سيئ " و " خبيث " تستطيع أن تجعل الولد يدرك أنه لم يكن سيئاً ولا خبيثاً بالرغم من أن ما فعله لم يكن مرضياً أو مقبولاً . وبشطبك أيضاً أقوالاً كهذه " صبي شرير " و " بنت شريرة " ، فإنك لا تعطي الولد صورة عن نفسه كولد " شرير " وسنؤكد في هذا الكتاب على أن الوالدين هم الذي يساعدون الولد في أن يكون له صورة عن نفسه . فإذا ما قيل له من حين لآخر انه " صبي خبيث " فقد يكون لنفسه صورة مظلمة .

أن الدروس عن السلوك المقبول أو الممنوع تحتاج إلى وقت طويل حتى يتعلمها الإنسان . وفي الواقع أننا لا نتعلم هذه الدروس جميعها في الفترة التي تسبق الانتساب إلى المدرسة . أن هذه الدروس تشمل أفكاراً معقدة عن الملكية وعن الحق المكتسب لاستعمال بعض الأشياء وعن حقوق الآخرين . وهذه الأمور جميعها تظهر منطقية وصحيحة بالنسبة للرجل الراشد إلا إنها

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

غير مفهومة تماماً بالنسبة إلى الولد. فواجبنا نحن الوالدين أن نجعلها مفهومة. وأن نمنح الولد الوقت الكافي لتعلمها. وأن نقنع بأن الولد ليس خبيثاً ولا عاقاً حينما لا يتعلمها بسرعة لأن تفكيره لم ينضج بعد، كما أن سيطرته على انفعالاته ودوافعه لا تزال محدودة .

ماذا يعني التأديب للولد الصغير

أن من خطأ الرأي القول بعدم ضرورة التأديب والتوجيه للأولاد الصغار. فالأولاد خاصة الصغار منهم يحتاجون إلى التأديب، ويحبون أن تكون الحياة منظمة ، لا يقدرّون على تحمل الكثير من الحيرة والاضطراب. أنهم يحتاجون إلى بعض القواعد والأنظمة في البيت كما يحتاجون إليها في دور الحضانة . وقد يعني التأديب في كثير من الأحيان لأناس عديدين التوبيخ والعقاب . وهنا يقع الالتباس، فالتأديب مع المحبة والصبر هو في حقيقته تأديب كالذي يفرض على الولد مع العقاب الجسدي والتوبيخ القاسي. فليس صحيحاً أن الولد الصغير سيعرف كيف يتصرف في مرة قادمة لأن سوء سلوكه أدى إلى صفعه وبكائه في مرة سابقة. فقد يخاف مثلاً أن يظهر مشاعره فتنعكس في عدم الأكل وفي الأرق وتبلييل فراشه ويسيء التصرف عندما يكون خارج نطاق نفوذ والديه.

أن مقاييس الوالدين هي مقاييس الولد نفسها. فالولد يحب أن يكون " طيباً " لأنه بحاجة إلى والديه ولأنه يحبهما أيضاً . وحبهما لهما يكون مشوشاً إذا كثيراً ما يشعر أنه يكرههما أيضاً ويخاف أن يميل عنه والده بسبب كرهه لهما

وحنقه عليهما . فيحاول جاهداً الوصول إلى الوسائل التي تجعله (طيباً) .
وحينما يؤذي والديه بالقول أو بالفعل أو يفشل في الوصول إلى مقاييسهم
يشعر بالحزن .

فبعد أن يرفض أن ينام ويقيم معركة ويهاجم أو يدفع من يحمله إلى فراشه
ينفجر باكياً بمرارة ، والسبب الرئيسي لبكائه أنه يشعر بالندم لما فعله ويخاف
من أن يكون قد خسر محبة والديه له . ولهذا السبب كان من المهم جداً أن يذهب
الأب أو الأم بعد كل مشاجرة عنيفة كهذه إلى الولد لتربت على كتفه وتضمه
إليها وتقول له : " حسناً لقد انتهى كل شيء . أنت ولد طيب وأنا أحبك كثيراً " .

وإذا لم يرغب في الكلام عن المشاجرة فيجب أن تمنحه وسيلة ما ليأتي
إليك ثانية ويحكي معك . فلا تجلس أمامه صامتاً معبساً ، انك تستطيع أن تحكي
له حكاية حلوة من حكايات المساء (دون الإشارة إلى الموعظة الأخلاقية فيها) ،
أو أن تلعب معه لعبة يألّفها . ولا تكف عن هذه اللعبات التي تجعله دائماً شديداً
الإعجاب بك . أن الولد يحب أن يتأكد من أن حياته ، مهما فعل ، تستمر معك
كالمعتاد كما تستمر حياتك أنت معه . فتستطيع أن تكون حازماً بمنعك إياه من
أن يرفس الهرة وأن يضرب أخته الصغيرة أو أن يخطط منفضة السجارة على
المائدة ، إنما يجب أن تكون حازماً في حبك له وإعجابك به . أن الحزم في التأديب
لا يعني الصوت العالي أو الغضب الشديد أو الكلام المطول .

والحقيقية أن ما يجب أن تفعله في تأديبك الولد : **أولاً** ، أن تبين له أن
بعض الأفعال ليست معقولة ولا نافعة ولا تجدي نفعاً وليست مما نفعله نحن
الوالدين .

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

ثانياً، أن تبين له بالفعل أو بالقول انك تستطيع الاستمرار في احترامه وتقديره ومحبته . كما تستطيع أن تشعره بأنه مؤنس حينما لا يزعم كل مساء . انك إنسان وقد لا تستطيع أن تمنع الشعور بالغضب عن الظهور في صوتك . فقد تشعر مثلاً حينما يهاجمك بأنك تتميز غضباً فيمكنك أن تقول له ذلك . انك تتألم ومع ذلك لا تحب أن تضرب . لكن تذكر بعد هذا كله أن تقول له إذا ما ضربته " لا بأس " فكل واحد منا ضرب مرة في يوم ما .

فقد كنت محنقاً وكان هو خصماً عنيداً حقاً . وهنا يجب أن تتوسط بينكما الأرجوحة التي اشتريتها لتقويته إذا كنت تعتقد بأنها تصلح للوساطة وقد تصلح للوساطة الدراجة التي يركبه كل يوم . على أية حال هو قوي بالتأكيد وقد يأتي يوم تعلمه فيه بعض أصول الملائكة، وحينئذ تستطيعان المضاربة معاً . يجب أن لا تنسى أنه ابنك وأنت تحبه في جميع الظروف .

ونأمل أن لا يهتم الوالدان بالتأديب من أجل أعداد الولد للمستقبل فقط . أن حياته في حاضرة وليست في غده أو مستقبلية . فأنت موجود أمامه الآن وهو يحتاج إليك كثيراً . وإذا قدر لك أن ترى بعين بصيرتك المستقبل بعد عشرين سنة فسترين أن ولدك سيكون أقدر على منح زوجته وأولاده الحب الذي منحه إياه، الحب الذي يتطلب بعض الأشياء وينتظر المكافأة، إلا أنه حب يدوم ويبقى بالرغم من الدموع والكدر والخصام .

أن التأديب يساعد الولد على أن يدرك بوضوح الأمور المباحة والأمور المنوعة . انك تجعل الولد أقوى عاطفياً حينما تجعله يشعر ان هنالك قواعد اجتماعية وهي قواعد جد ضرورية . كأن تقول له مثلاً " أن الأولاد لا يركلون "

وهذا يعني أنه يجب أن لا يفعل ذلك . وتلك قاعدة شائعة وليست قاعدتك الخاصة.

حينما يضرب ابن الرابعة أخته الصغيرة فهو يغار منها، وغيرته هذه كحاجته إلى أهله أمر طبيعي. وفي الحقيقة لا يغار الولد إذا لم يكن مهتماً بوالديه. فهو يخشى أن تسلبه الطفلة محبة والديه. ولذلك تراه يحقن عليها. ولذا فليس من الحكمة إذا ما ضربها أن تقول له الام " قبل الطفلة ولا تضربها " ، أو " يجب أن تحب الطفلة، انك ولد خبيث " . ومن الأفضل لك وللطفلة ولسام في المدى البعيد أن تقولي له : " لا تستطيع أن تضرب الطفلة. أنا أعرف يا سام كيف تشعر نحوها، أنها مصدر إزعاج بالنسبة لك، وهي تأخذ الكثير من وقتي. أن الأطفال مزعجون أحيانا. تعال لنلعب أنا وأنت بعد أن أضعها في فراشها ولنر ما نستطيع أن نعله معاً وما قولك بعلبة القطار التي ابتكرتها أنت، أنها لعبة حلوة " .

ليست هذه أقوال لتحويل انتباه سام عن أخته ، إنما هي كلمات تريه بوضوح،

أولاً : أن الام تفهم أنه يغار من أخته ،

وثانياً : أن غيرته هذه أمر طبيعي،

وثالثاً ، أنه لا يزال يتمتع بحب أمه وأنها ستصرف معه وقتاً كما تفعل

مع الطفلة.

وهكذا تكونين قد قلت له بوضوح أنه يجب ألا يضرب الطفلة.

التأديب وشعور الولد

هنا نقطة أخرى تتعلق بالتأديب ويجب على الوالدين أن يوضحوها لأنفسهم، قبل أن يقرروا ما هو التأديب الحسن وما هن التأديب السيئ . انك لا تستطيع أن تطبق قاعدة تأديبية واحدة في كل موقف حتى في الأسرة الواحدة . فهناك، مثلاً ظروف تقتضي أن تحرم الولد فيها من شيء يحبه أو تكف عن إعطائه أشياء اعتاد أن يأخذها ويرغب فيها . لنفرض أن البنت الصغيرة أرادت أن تلعب بأحسن قبعة لديك فتقدمين لها قبعتك القديمة عوضاً عن الجديدة لكنها لا تقبل التغيير بكل وسيلة . وتمسك بالقبعة وحينما تأخذينها منها وتضعينها بعيداً عنها، تصرخ باكية وتقول : " أكرهك ، أنت مكاراة كبيرة، تركتني ابكي والغلطة غلطتك . أنا أكرهك . أنت نتنة " .. ويزداد ألمها وتقلق حينما تدرك ما قالته وما يعني قولها بالنسبة لفقداء حبك . هنا عليك أن تتدخل وتصلحي الموقف، الذي يجب أن يكون جلياً في ذهنك .

والعمل الأكثر حكمة والذي يجب عليك أن تقومي به أننذ هو أن تقولي لها بالصيغة التي تحبها : " أنا أعرف يا ليندا أنك تكرهيني ، أنا لا أهتم ولا بأس أن تكرهيني .. فأنا أتألم منك أحيانا . لكنك لا تستطيعين أن تلعبين بقبعة أمك الجديدة . ألا تحبين أن تذهبي إلى السوق غداً وتأتي ببعض الزهور وتصنعي لنفسك قبعة لتلعبين بها " .. حينئذ تكف ليندا عن الصراخ وتعود إلى هدوئها ..

والآن بعد أن تهدأ الأمور تبيني بوضوح كيف تشعرين أنت الام وكيف تشعر ابنتك ليندا . خذيها إلى الحمام واغسلي وجهها وقولي لها : " ألا تشعرين انك أحسن حالاً الآن ؟ أنا أعرف انك تأملت مني . ولكن لا بد للأمهات في بعض

الأحيان من أن يؤلن الأولاد . وكثيرون من الأولاد لأمهاتهم أنهن ماكرات أو أنهن كالأرانب العجائز الخرس، وهنا تشعر ليندا بأنها ليست الوحيدة التي تخطئ فغيرها من الأولاد يخطئ ويفعل كما فعلت . فتسأل أمها متأكدة هل يفعل الأولاد كما فعلت وماذا كانت تقول وهي صغيرة . فأجيبني : " كنت غالباً ما أقول ذلك بيني وبين نفسي . لكنني في مرة من المرات تأملت كثيراً وهل تعلمين ماذا فعلت ؟ أخذت بعض الطباشير وكتبت بها على سترة أُمي " . فتسألك ليندا ألم تغضب أمك غضباً شديداً ؟ وجوابك بالطبع نعم ..

ثم تسأل ماذا فعلت لك؟ قولي لها ضربتني .. وحينما تقول " لكنك لا تضربيني . فتقولي لها : هذا صحيح فأنا لم أحب الضرب أبداً وأنت لا تحبينه". ولما تقول يا عزيزتي، فالبنات الصغيرات يتألمن أحياناً من أمهاتهن ، لكن الأمهات يحبنهن دائماً والبنات يعدن إلى محبة أمهاتهن، وكل شيء يمر بسلام".

في مثل هذا الموقف مرت ليندا بحالة شعورية مضطربة تجاه أمها التي تحبها إلا أن أمها ساعدتها في أثناء مرورها بهذه الحالة المضطربة . وقد تقول ليندا لأمها في المرة الثانية : " أتمنى لو أنك مت " أو " سأرحل وسوف لا أعود ثانية إلى هذا البيت لأنكم جميعكم سافلون في نظري " إذا تبصرنا بالأمر من جميع جهاته فإن ليندا تقول هذا القول مدفوعة بالفكرة نفسها التي دفعها في المرة الأولى إلى قول يشبه هذا القول .

أنها تستطيع أن تكرهك وهذا لا يؤلك أو يهينك لأنك أمها . وأنت تدركين كيف تشعر البنات الصغيرات ولهن الحق بهذا الشعور . والنمو أمر مستصعب وليندا في طور نموها وهي تتغلب على صعوباته.

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

هذا ما نعني بالتأديب الحازم الواعي . فبعد بضع سنين لا تعبر لك ليندا عن كرهها لك بالتعابير الفجة السابقة بل ستقول لك : " أنت رئيسة عتيقة " أو " أتمنى لو لم تخلق الأمهات " ثم يأتي وقت تقوم فيه ليندا بحركات استهزائية تجاهك لكنها لا تكرهك في الواقع، وهي تدرك ذلك . فقد كرهتك كثيراً يوم انتزعت القبعة منها إلا أن هذا الكرة قد زال سريعاً . فقد أصبحت تدرك أنك ستقولين لها نعم وتجيبي سؤالها ما دام طلبها معقولاً وممكناً . وقد أصبحت تتوقع إجابة طلباتها كما تتوقع المنع والرفض . ولم تعد تشعر بأنها خبيثة أو قذرة أو خسيصة حينما تغضبك، وهي يافعة تسلم بأنها تثير غضبك لكن ذلك لا يذهب بها إلى درك الحزن والضجر .

امنح ولدك وقتاً ليتعلم قواعد السلوك

هناك عنصر آخر في كل مقياس تأديبي يساعدك على توضيح شعورك تجاه تأديبك للولد وتجاه أفعاله . ويشمل هذا العنصر ما نسميه الخطأ (على الهامش) وإليك ما نعني بذلك .

قد يذهب ولدك ابن الثانية معك إلى الحديقة العامة . وحالما ترفعيه من عربته يبدأ بالركض وفي ذهنه هدف يريد أن يصل إليه ، أو يركض دونما قصد أو اتجاه إلا أنه ممتلئ بالغبطة وهو يدفع نفسه إلى الأمام وقد وجد المكان المناسب للعب، إن توفر المكان والجرأة لدى ابن الثانية من العمر يفتنه ويسحره .

وبالرغم من قولك له " لا ، لا تردينيها دائماً وفي كل يوم فحينما يندفع في

الفصل الثاني

الطريق يبقى ميالاً إلى الركض في الاتجاه نفسه. فلا يجدي الولد في موقف كهذا أن تضربه أو تضعيه ثانية في عربته وتنبهيه قائلة له "قلت لك أن لا تركض هناك" فالاستفادة "من الخطأ على الهامش" هنا هو أن تمسحي له بالحركة اللازمة لعمره.

أنه يحب أن يترى ويركض . إلا أنه لصغر سنه لا يستطيع أن يتذكر ابن يحب أن يركض وأين يحب أن لا يركض. فإذا قلت له : "من هنا الطريق" أو "تعال نركض إلى المكان المنحدر". أو إذا اخترت المكان الذي تستطيعين انتظاره فيه وهو يركض أمام عينيك. هذه الأمور كلها تساعد الولد على الشعور بأن الركض لا ضرر فيه وأن له مكاناً في حياته.

قد يترتب عليك أن تمسك بيد الولد الصغير وتدله على الطريق بقولك "من هنا الطريق" إلا أنه ليس ضرورياً أن تعاقبه على النسيان إذا ما أخطأ الطريق.

فحينما يكون للأمر مساس بسلامة مولد ينبغي على الوالدين أن يكونوا قريبين منه ليراقبوه. لأن النسيان أمر شائع. ولا يجدي التوبيخ أو الضرب في تكوين الذاكرة القوية لدى الولد. وحينما يقول الوالدان للولد: "اسلك هذه الطريق" عليهم أن يفهموه ما تعني هذه الكلمات ويعطوا نصيحة إيجابية ولا يكتفوا بالمنع والقول: "لا .. لا .. لا تفعل ..".

إن كل ولد في سن الثالثة والرابعة والخامسة فما فوق يحتاج إلى هامش للخطأ.

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

فإذا ضرب ولد أخته مرة فقد يضربها ثانية . وهذا لا يعني أن تأديب والديه له ضعيف أو أنهم لم يساعدوه في التغلب على غيرته من أخته . قد يصبح أكثر الوالدين غير واثقين من أنفسهم ومن تأديبهم حينما يبدر منه عمل غير مألوف ويتكرر هذا العمل أكثر من مرة. فحينما يضرب الولد أخته للمرة الأولى تستطيع أن تتدبر الأمر وفي المرة الثانية تخرج عن طورك قليلاً، وفي المرة الثالثة والرابعة تشعر أن ولدك لم يفد من تأديبك مطلقاً . فتبدل التأديب القديم بالوعيد والتوبيخ.

إن الولد الذي يحتم عليه أن يعيش دائماً في بيت واحد مع أخته الصغيرة تعاوده شكوكه حول محبة والديه له وتزعجه هذه الشكوك كلما حملت الطفلة أو غسلت أو أطعمت أو دلت من قبل الأقرباء والوالدين، فضربه أخته مرة بعد مرة أمر مألوف. ولا يكفيه دليل واحد على محبتك له وهو يقضي الساعات والأيام يراقبك فيها وأنت تعين بالطفلة. فإذا لم يضربها مرة ثانية فقد يبذل فراشة أو يثور غضبانا أو يأخذ قنينة للطفلة ويرضع منها أو يضربك لأنك أمها.

هذه أمور كلها تدل على أنه بحاجة إلى أن يظهر أنه قادر على الاستئثار بانتباهك ووقتك. وقد يكررها مرات متعددة. ويمكنك أن تتوقع منه أن يظهر حاجاته إليك وغضبه على الطفل حالما يبدأ بالشعور بعدم الاطمئنان.

فحينما تمنح الولد هامشاً للخطأ لأي عمل كان، وفي أية سن يجب أن لا تنتظر منه أن يتعلم أن أمراً ما يعتبر غير صالح، من موقف واحد أو قول واحد. فهو تارة فضولي أو مستكشف، وأخرى تعب مشوش أو غضبان مضطرب، فيجب أن لا تتوقع تطبيق بعض التعليمات على الولد في جميع الحالات.

الفصل الثاني

فالاستمرار في مساعد الولد ومساندة ضرورة. وتأديبك للولد مهما اختلفت أنواعه لا يمكن أن يعطي الولد الناشئ، مسبقاً تصميماً معداً لسلوكه . فتأديبك يحب أن يوجه الولد باستمرار وهو ينمو. ويجب أن يبنى على تفهم حاجات الولد في مختلف مراحل نموه وعلى سلوكه الذي يبين نموه ومشاعره وما يعترضه من الصعوبات في سبيل تلبية ما تطلبه منه.

التأديب يمنح الوالدين الثقة بالنفس

نحن نعلم اليوم أن الكثيرين من الوالدين لا يحبون أن يشعر أولادهم بأنهم " شريرين " أو " مؤذنين " . ولهذا السبب أصبحوا حيارى تجاه توجيه أولادهم فهم يتساءلون، ماذا نستطيع أن نعمل إذا أردنا نرشد أولادنا دون أن نجعلهم يشعرون بأنهم شريريون.

فكلما لاحظنا سابقاً بمقدورك أن تحذف كلمة (شرير) أو (مزعج) وتستعويض عنها بكلمة (لا) التي يمكن أن تستعمل مرات عديدة وتعطي معاني إيجابية، كقولك للولد: " افرغ ماء المسدس في حوض الحمام.. وهذا الأمر لا يضيرك "، أو " باستطاعتك أن ترسم على هذه الورقة وتترك الأخرى فهي لرسائل أبيك " .

أو " اجلس ولنخرج الكرة ، أننا لا نستطيع أن نقذفها عالياً إلا حينما نكون خارج البيت " وقس على ذلك. فحينما تقول للولد " لا " مرات عديدة وأنت تعني ما تقول يتعلم الولد أن يحترم هذه الكلمة ويحترمك أيضاً.

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

وفي كثير من الأحيان يعرف الولد أن ما يفعله يسبب إزعاجاً لذويه. ويرغب في أن يثير ضجة كبيرة ليشعر بأنه حزن وأنه لا يعمل أشياء لا تروق لك. وهذا الأمر من حق الراشدين كما هو من حق الأولاد الصغار. فحينما نحتاج نحن الراشدين منفذاً لهمومنا ومزعجاتنا، لا نذهب إلى الغرفة ونفرغها على المفروشات والجمادات، بل نصبها على من سببها لنا من الناس. وهكذا فإن الولد يبحث عن يعكس عليه انفعالاته. وحينما تقول: " أنه يريد عمداً أن يثير غضبك" فأنت على حق . وقد يكون متأثراً منك أو غضباناً عليك، فبدل أن يدخر غضبه لانفجار سببه تعكر مزاجه أو يصبه على الأولاد الآخرين أو على خبط الجدران والمفروشات، تراه يجعلك هدفاً مباشراً له .

وفي ظروف كهذه من الصعب جداً أن تكون حيادياً أو تستعمل معه ألفاظاً إيجابية لأنه لا يصغي ولا يمثل لواحدة منها. هو يحب أن يشعر أنه ضدك وضد العالم أجمع . وأحسن أنواع التأديب هنا . أن تقول له بصراحة ووجهها لوجه : " أنظر يا بوب، أنت تعب وأنا تعب أيضاً . أنا أعرف انك تدفع الباب بعنف لأنك غضبان . وهذا ما لا أحبه منك فيجب أن تكف عنه " .

فالوالدة أو الولد الذي يصرخ ويهدد الولد بترك البيت أو يتظاهر بالحزن والصبر لا يواجه البتة مشكلة الولد. وفي موقف كهذا على الوالدين أن يتجنبوا تأديب الولد بحرمانه مثلاً من وجبة العشاء أو من رحلة أو من حكاية اعتاد أن يسمعها كل مساء. إنما تستطيع أن تنبه الولد إلى أن حكاية المساء سوف لا يبقى لها وقت كاف إذا استمر على ضرب الباب بعنف . ويجب أن تنتظره حتى يهدأ قبل أن تلعب معه أية لعبة كانت . وحينما تواجهه

بالحقيقة وجهاً لوجه ويدرك أنه قصد إغضابك وأنت في الوقت ذاته غضبان عليه، ولا مجال لتحويل انتباهه عن هذا كله، فلا مفر له من البكاء يخلصه من ثورة غضبه أو قد يستعيز عن البكاء بالسباب والشتائم يوجهها إليك . أعطه في مثل هذه الحال منفذاً لغضبه ، وهنا نبهه إلى الحكاية التي سيبدل ميعادها أو إلى اللعبة أو وجبة العشاء التي ستؤجل تأديباً له. وهذه الثورات للغضب تكون قصيرة الأمد إذا لم تغذيها المهاترات والشتائم المتبادلة المتكررة. وهي ليست غير مألوفة لأنها تحدث في كل بيت. ومن الأفضل للوالدين أن يعالجوا المشكلة فوراً وقبل أن تتعقد الأمور. ولا حاجة للعقاب إذا انتهينا إلى المشكلة فوراً قبل يبلغ به الغضب درجة الغضب درجة تدفعه إلى ضرب الباب بعنف أو قبل أن تتأزم الأمور وتصل أنت إلى درجة الانفجار. أنت أيها الوالد راشد. والولد ينتظر منك تصرفاً حكيماً ولا يتوقع أن يراك غضباناً منفعلاً أو يائساً قانطاً. أن للحظات التي يغضبك فيها الولد مساساً كبيراً بعلاقتك به . أنك تستطيع أن تشعره فيها بأن الغضب ليس أمراً مؤذياً أو هداماً. وليس هو بالنسبة إليك أمراً لا تستطيع السيطرة عليه كما أنه ليس عقاباً أو جزاء يمكن أن يلجأ إليه الولد في المستقبل . يجب أن يفهم أن الغضب يحدث وينتهي سريعاً فيجب أن لا يخشاه . أن الوالدين الواقفين من أنفسهم والذين يملكون لهجة مطمئنة تنعكس في أصواتهم حينما يخلصون الولد من ثورة غضبه، هم ليسوا بحاجة إلى عقاب الولد أو إلى تهديده.

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

أن اللحظات التي تشوش التأديب وتضايق الولد هي اللحظات التي تسبق وتعقب ثورة الغضب، إذا نجعل الولد فيها يشعر بأن غضبه سيكون له مضاعفات كثيرة في المستقبل. أن تأديبك للولد يجب أن يبقى بعيداً عن التهديد والوعيد والتوبيخ الطويل أو العقاب الصارم. في مقدورك أن تطلب من الولد أن يفعل أموراً أو يكف عنها حينما تشعر أنه يستطيع أن يفهم ما تطلبه منه وتلمس حاجته إليه ورغبته في نيل محبتك واحترامك.

ثامناً : كيف تعلم الولد الفروق الجنسية (بين الجنسين)

أن الأولاد فضوليون ، فكما يحبون أن يستفسروا عن كل شيء، يروق لهم الاستفسار عن أنفسهم وعن أجسادهم وعن مميزاتهم الجنسية. وبالرغم من أن الولد قد لا يسأل قبل أن يبلغ الثالثة أو الثالثة والنصف من العمر، لماذا يختلف أبوه عن أمه جسدياً . فقد يستطيع أن يقرر فيما إذا كان هو نفسه ذكراً أم أنثى كما يستطيع أن كان له أخوة التمييز بينهم من حيث الجنس أيضاً .

ولكي ينمو الولد ويترعرع في مجتمعنا أو في غيره من المجتمعات، يجب أن لا يشعر بالخل من جسده. ومهما كانت أمور اللباس والعري والتبرز اعتيادية في البيت، فإن الولد دقيق الملاحظة ولا بد من أن يأتي يوم يشعر في بالخل من جسده. وبالرغم من النظرة العابرة لجسده تراه يزداد حياء وحشمة حينما يدرك أن الأولاد والراشدين يرتدون بين الناس الملابس ولا يتعرون. ومن المهم جداً أن لا تدع الولد يشعر بالخزي من جسده وأن تفح له المجال للسؤال عن المميزات الجنسية فيما يختص به وبوالديه. كما يجب عليك أن تجيب عن أسئلته ببساطة . فحينما يرى الولد غيره من الأولاد وهم يرتدون ملابسهم أو ينزعونها أو يراهم وهم يغتسلون أو يتبرزون لا بد أن يسأل أسئلة عديدة والأجوبة البسيطة الواضحة، في مثل تلك الحالات، أفضل من الأجوبة

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

السلبية كقولك له : " اسكت أو عجل واخرج من الحمام " .. كثيراً ما يكرر الولد في سنيه الأولى الأسئلة عن الفوارق الجنسية وخاصة فيما يتعلق بجسده ليتأكد في ذهنه أنه بنت أو صبي وأن الصبيان يختلفون عن البنات وأن الفوارق بين الجنسين ليست من عمل الوالدين كما أنها ليست من عمل الولد أيضاً .

وفي حين أن الأولاد يكتشفون كل جزء من أجسادهم عرضاً كثيراً ما ترى الوالدين ينزعجون حينما يرون أن ابنهم قد بدأ يلمس أعضاءه التناسلية. أن هذه الأعضاء بالنسبة إلى الراشدين مرتبطة بشعورهم نحو الجنس والأمور الجنسية المحظورة. وفي رأيهم أن الولد إذا لمس أعضاءه التناسلية فيكرر هذا العمل دائماً أو أنه سيمارس هذه الأمور الرذيلة مع غيره من الأولاد، أو أن هذا العمل سيؤثر في صحته. أن بعض الوالدين لا يتكلمون حول هذه الأمور مع أولادهم كما انهم لا يتبادلون الحديث عنها فيما بينهم، إذ يعتبرون الكلام عن الأمور الجنسية محرماً . فتراهم يرفعون يد الولد بسرعة إذا ما لمس أعضاءه التناسلية ويضربون يده الآثمة ويقولون له: "لا تفعل هذا الأمر يا خسيس"، وهكذا يبدأ الولد بالتفكير بأن بعض أجزاء جسده خبيثة وأن لمسها أمر سيئ ..

أننا نسمع اليوم الكثير من الكلام عن التربية الجنسية فيما يخص الزواج وإنجاب الأولاد لذلك يصعب علينا أن نتذكر المعلومات الجنسية التي وعّاها الولد منذ طفولته. أن الولد الصغير لا يشعر أن جسده أو أن جزءاً من جسده رديء ما لم تجعله أنت تشعر بذلك. وحتى حين لا يلفظ كلمة "رديء" فإن الولد يدرك من نغمة صوتك أو من التجهم الذي يبدو على وجهك بأنك تشعر بسوء عمله.

إن لمس الولد لأعضائه التناسلية لا يؤذيه ولا يجعله ينضج من الناحية الجنسية قبل الأوان، كما لا يجعله بصورة فجائية حساسا تجاه العادات الجنسية لدى الراشدين أو تجاه شعور هؤلاء الجنسي. انه كولد صغير ليس لديه الشعور الجنسي الذي للراشدين، كما انه ليست له الحاجات النفسية أو النضج الجنسي الذي للراشدين. لذلك يجب على الراشدين، أن يتعلموا كيف يهجروا الألفاظ "كردئ"، و"خبث" وغيرها من التي يستعملونها في مجال التربية الجنسية. وقد يسأل الوالدان، إلا يشعر الولد باللذة والارتياح حينما يستمني أو يلعب بأعضائه التناسلية، فإذا كان السؤال يعني الاستفسار عما إذا كانت لذته في هذا المجال كاللذة عند الراشدين فالجواب يأتي بالنفي. أما إذا كان السؤال يعني اللذة الجنسية التي يشعر بها الولد فيأتي الجواب بالإيجاب. ان لذته هنا لا تتعدى اللذة التي يشعر بها وهو يمص إبهامه، أو وهو يربت على ظهر الهرة أو حينما يأخذ حماما دافئا. انه يشعر باللذة أيضا حينما تلامس قدماه العاريتان الطين أو حينما يستسيغ لسانه طعم "البوظة"، فهناك احساسات عديدة ولذيذة بالنسبة للولد ألا أنها ليست سيئة. أن الكثيرين من الأولاد يستمنون كما يمص الكثيرون منهم أصابعهم حينما يكونون مسترخين أو منفردين. أحيانا يستمر بعضهم في الاستمناء أثناء النهار. والاستمناء ليس خطأ. وهو لا يؤذي الولد. أمنا على الوالدين أن يلقوا على أنفسهم أسئلة كهذه: "هل يبقى الولد حينما يكون وحيدا منفردا، فترات طويلة بدون كتب أو ألعاب فلا يجد وسيلة للراحة غير الاستمناء، أو هل توفر له فرص للعب داخل البيت وخارجه، وهل يسمح من وقت آخر بالتشويش وإثارة الضوضاء وممارسة

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

نشاطه الجسدي . وكما بينا سابقا أن أبناء الرابعة والخامسة من العمر يصرفون قسطا من الوقت في الكلام عن الأعمال التي أصبحوا يحسنون القيام بها كالبرز مثلا. وهم يراقبون بعضهم بعضا في الحمام. والاهتمام بالجنس، في مثل هذه السن جزء من فضول الأولاد عن الأمور التي تثير دهشتهم. قد تجرب البنات تقليد الصبيان في طريقة التبول. وهذا ما يزعج الوالدين لخوفهم على البنات من الانجراف الجنسي في المستقبل. وفي الواقع أن هذا التصرف طبيعي بالنسبة إلى البنات الصغيرات. وهو نوع من الفضول والتسلية وليس انحرافا عن الطبيعي، فالبنت الصغيرة نفسها التي تقلد أخاها تسمعها تعلن بفخر أن ملابسها الداخلية هي كملايس أمها طبق الأصل. وهي تلعب أيضا (لعبة البيت) وتمثل دور الأم الحنون مع لعبتها الصغيرة. وأحيانا تلبس الملابس متشبهة بالملكة أو بالأميرة، أو أنها تصبغ أظافرها وتلبس قميص نوم أمها. هذه الأمور كلها تخص الأنوثة وبها تؤكد البنت أنوثتها.

أن الأولاد في سن الثالثة أو الثالثة والنصف وأحيانا بعد هذه السن يسألون عامة عن الأطفال المولودين حديثا من أين يأتون، وكيف يولدون. وتكفيهم ردا على أسئلتهم بعض الأجوبة البسيطة والحقيقية.

يجب أن لا يغرب عن بالنا أن الأولاد هم أنفسهم يهتمون بالأطفال أيضا. انهم يحبون أن يسمعوا عن طفولتهم، ماذا كانوا يشبهون، وكيف كانوا يكون. ويحبون أيضا أن يروا صورهم وهم أطفال، فيقارنوا بين أنفسهم في الحاضر والماضي ويشعروا انهم كبروا وتعلموا أشياء كثيرة عن العالم خلال طفولتهم.

واهم شئ نقوله للولد، في مجال الكلام عن طفولته أن أمه أباه أحباه كثيرا حينما كان طفلا وانهما أحبا أيضا بغضهما بعضا.

قد تقنع الحقائق العلمية عن الجنس، الولد لفترة معينة. إنما يجب ان لا ننسى انه من الصعب على الولد ان يبعد هذه الحقائق عن مشاعره وخاصة عما يتعلق فيها بجسده. فحينما يسأل الولد كيف يولد الأطفال فقوله هذا مجرد سؤال يلقيه كما يلقي أي سؤال آخر عن الحياة بصورة عامة. وما دام نضجه العاطفي أو الجنسي لم يكتمل بعد فهو يوفق دائما بين الأجوبة التي يتلقاها، وبين مشاعره نحو جسده. وكل معرفة يأخذها تدخل ضمن إطار معارفه.

إذا تكلمنا للولد عن حقائق الحياة بطريقة صحيحة وواضحة ثم أعقب ذلك أن عاقبناه لأنه تكلم كلاما بذيئا أو لأنه لمس أعضاءه التناسلية ، فأمر منطقي ان يرتبط في ذهنه ما أعطيناه من المعلومات بأشياء خبيثة سيئة. ويبدو التناقض للولد بينا حينما يرى ان الراشدين يتكلمون عن أمر ما يجد ثم يحرّمونه في لحظة واحدة. ويظل الأولاد يشعرون بان هناك في جسم الإنسان مناطق (خاصة) أو مهمة، حتى لو هم تلقوا الأجوبة الصحيحة والبسيطة عن ولادة الأطفال وعن أجسادهم واصبحوا لا يخلجون منها. وهذا ما لا بد منه مادام الولد المتيقظ سيعرف ويلاحظ أن بعض الأجزاء من أجسادنا تبقي عارية أمام الناس وان الوالدين لا يختبأون وراء الأبواب المقفلة حينما يكونون مرتدين ملابسهم كما انهم لا يتجولون بين الناس وهم عراة.

وكذلك حينما يكون في البيت الواحد بنات وصبيان، تحدث مضايقات متبادلة بين الطرفين حينما يتعرى أحدهما ولا بد من الضحك والدغدغات. هنا

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

أيضا يجب ان نواجه الموقف. فالفوارق الجنسية مهمة والولد يدرك ذلك بطريقته العفوية. فالتربية الجنسية ليست إعطاء الأولاد الحقائق المجردة فقط. والولد على صواب حينما يفكر بالفوارق الجنسية كأمر خاص ومهمة. لذلك يجب أن لا نمنع الأولاد من الضحك والدغدغة في معرض الكلام أو ملاحظة الفوارق الجنسية، والضحك والدغدغة أمور طبيعية في هذا المجال كالفوارق الجنسية التي تثيرها. ومن السذاجة أن نضمن بقاء الولد جامد الفكر أو جديا قليل الاهتمام بالميزات الأساسية التي تميز الصبيان عن البنات. وقد تأتي أوقات يكره الولد فيها هذا النوع من الدغدغة والضحك. وله ملء الحق أن يشير بالقول إلى هذا الكره. وهنا يجدر بك ان تتدخل إذا اقتضت الحاجة وتوجه الولد كأن تقول له: "هذا من أمورك الخاصة". هذا التعبير يستطيع ان يستعمله الولد مع غيره في المستقبل. إذ يجب أن يكون هناك حدودا لمن يريد أن يدغدغ أو يضحك الآخرين. وفي الجسم مناطق خاصة يجب أن يعرفها من يريد أن يدغدغ صديقه أو يمازحه فلا يقربها.

أن الولد المطمئن من ناحية جسده والذي لا يستحي من وظائف هذا الجسد، يتقبل عملية التناسل في المستقبل كعملية طبيعية مألوفة. بينما ترى الولد الذي يشعر أن بعض أجزاء جسده (قذرة) يعتقد أن بحث موضوع الجنس أمر غير مسموح به من قبل الراشدين.

والحقيقة أن الحقائق والمعلومات عن الطريقة التي يولد بها الأطفال لا تعطي الولد الناشئ صورة عن طريقة العيش وعن الزواج والولادة. فالولد يأخذ هذه الصورة الصحيحة للأخذ والعطاء والمحبة والاحترام المتبادلين بين

المرأة والرجل ، عن الطريقة التي يتعامل بها والداه ويعاملونه بها . أن المعلومات الحقيقة عن الجنس هي كالمعلومات عن عملية الهضم والتبرز . وهذه الأخيرة لا تعلم الإنسان أشياء كثيرة عن طريقة الأكل وعن التمتع بالطعام أو عن الحديث حول المائدة . فالحقائق ما هي إلا جزء من المعلومات الكثيرة عن الجنس . ونظرة الولد إلى جسده تتسم بطابع بيته ووالديه وتتأثر بالطريقة التي يعيشون فيها معا .

تاسعاً: تعلم الولد استعمال اللغة

يتعلم الولد تدريجياً، في الفترة التي تسبق دخوله إلى المدرسة، الاتصال بغيره فيستعمل اللغة كوسيلة لا لقاء الأسئلة والتعبير عن حاجاته ومطالبه ومشاعره.

ولغة الولد كحركات جسمه ومفاهيمه عن الحق والباطل لا تتطور فيها المعاني الواضحة الدقيقة دفعة واحدة. وكما أن فضول ابن الثانية من العمر يدفعه إلى نطح ولس كل شيء، كذلك لغته تعكس فضوله في سبيل الوصول إلى المعنى. فابن الثانية من العمر مثلاً يبكي حينما يكون جوعاناً، والبكاء هو الاستجابة الطبيعية لدى الأولاد لآلام الجوع، لأن الولد في تلك السن لم يتعلم بعد الربط بين الأكل والكلمات التي تعبر عن حاجته إليه. وفي سن الثالثة أو الرابعة يستطيع أن يقول لك انه جوعان أو عطشان لكنه لا يزال غير قادر على التعبير عن تعب. ولهذا تراه في آخر النهار يبكي ويصرخ ويزعج والديه أو يضرب أخته الصغرى.

وقد يقول ابن الثانية "لا" وتعني "أنا مستمتع باللعبة الآن" أو "أنا تعب" أو يقصد القول: "ألا ترى أن كلمة لا مهمة.. فانظر ما يحدث حين أقولها".

الفصل الثاني

وابن الثالثة يقول أحيانا "ابتعد عني. أنا احبك ". وهو يعني انه تعيس وخائف أن تتركه وتذهب بعيدا عنه.

وحيثما يتعلم الولد الصغير ان يسيطر نوعا ما على سلوكه يستعمل أحيانا عددا من الكلمات يستعيز بها عن سوء سلوكه السابق. فابن الرابعة والنصف أو ابن الخامسة مثلا يسمي كل واحد "نتنا " ليعبر عن شعوره كان يعبر عنه وهو اصغر سنا باستعمال القوة الجسدية. أو من جهة ثانية قد يتعلم الكلمة المناسبة لكنه يبدي تناقضا باستعمالها. كأن تقول ابنة الثالثة من العمر للعبتها: "يا حبيبتي " ثم ترميها على الأرض بعنف. فهي لا تعني هنا (حبيبتي) البتة وقد دلت على شعورها بالفعل لا بالكلمة .

أن تعلم أسماء الأشياء في البيت والشارع أمر يسير بالنسبة للولد الصغير أما ما يصعب عليه فهو فهم هذه المسميات، وفهم الأشخاص الآخرين وعلاقتهم به .

فالتعابير (أرجوك) و (أشكرك) و (افعل هذا) و (لا تفعل ذاك) و (توقف) و (اذهب إلى النوم) و (لطيف) و (أناني) هي صعبة بالنسبة إليه لاتساع معانيها .

أن المفاهيم في لغة الولد مرتبطة جميعها على وجه التقريب بسلوكه وتصرفه.

فأول ما يتعلم كلمة (مزعج) مثلاً يتعلمها مرتبطة بنغمة صوتية معينة

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

مقرونة بالتوبيخ وبعدم الرضى وبشعوره بالخجل والألم والتعاسة والحزن. وفي الوقت الذي يتعلم فيه أن يردد الكلمات والجمل يبدأ بتكوين وتحديد صورة له عن نفسه . فالكلمة أو الجملة في اللغة تكون بالنسبة إليه مشحونة بمشاعره وأفكاره . فمن نغمة الصوت الذي يسمعه ومن التنبيهات والتوبيخات أو من الكلمات اللطيفة تكون هذه الصورة أما صورة لولد " طيب " ممدوح ومحبوب ، أو صورة لولد خبيث مكار يتعرض للتوبيخ دائماً . وهكذا يتجه الولد ويعمل بوحى هذه الصورة التي أعطاها الراشدون له .

ولهذا فإن تطور اللغة لدى الولد عملية مزدوجة . أولاً : هي وسيلة يتصل بها الولد بالعالم الخارجي ويتعلم التعرف بغيره من الناس . ثانياً : هي وسلته للتفكير بنفسه . أن احساسات الولد ومشاعره هي أهم شيء بالنسبة له ، فإذا أردت أن تحكي حكاية لابن الثانية من العمر ، فاعلم أن الحكاية أكثر ما تكتو تأثيراً به حينما تهتم بالولد نفسه ، ويكون موضوعها نومه أو نزهته مع أبيه أو الحيوانات التي رآها في حديقة الحيوانات . وهذا لا يعني أنه مفطور على الأنانية .

إلا أن الولد يتعرف إلى العالم عن طريق نفسه .

أنه لا يستطيع التعميم ، فعالمه الخاص هو العالم ، والوالدان عامة هم والداه . كما أن الطريقة التي يشعرون بها نحوه ويعاملونه بها هي التي معنى السلطة بالنسبة إليه . فالمحبة واللفظ والطيبة تنجلي بما يفعله ويقول والداه له .

حاجة الولد إلى التفكير

أن الولد الصغير يحاول دائماً أن يرضى والديه . ويصبح قلقاً غير

سعيد حينما لا يستطيع أن يلي مطالبهم. ويحاول أن يكون (طيباً) بالرغم من عدم نجاحه في ذل أحياناً، حينما يكون رضاهم عنه مشروطاً بسلوكه الحسن وحينما يقولون له، لا عن طريق الكلام بل بطريقة غير مباشرة : (أننا نحبك). وكما قلنا سابقاً أن الولد الصغير لا يستطيع السيطرة على أفعاله ونشاطاته أو مشاعره.

كذلك تراه قلقاً إذا ما أساء إلى أمه أو أبيه بسوء سلوكه، وشعر أن أمه غاضبة أو أن أباه تعيس. والولد كالراشد يظهر قلقه بسلوكه أو أنه يفعل ذلك بطريقة الصبانية. فالراشد يتكلم عن كل ما يزعجه ويصبح متغيراً وقد يتعسر هضمه وربما تخلص مما يقلقه بقذف الآخرين بأقوال قاسية أو تلميحات هوجاء لا تفكير فيها أو أنه يصبح مكتئباً حزناً. أما الولد الصغير فليس لديه الوسيلة ليقول " أنني قلق " أو " أنني مشغول ". هذه مدركات لم يتعلم بعد أن يضعها بكلمات. إلا أن هناك طرقاً شتى يستطيع التعبير بها عن تعاسته . فقد يصرخ مثلاً كما يفعل عادة حينما تذهب أمه خارج البيت، ويترك وليس معه أحد يعرفه.

أو قد يفقد الشهية للطعام كما يحدث للراشد تماماً. أو أنه يؤذي الآخرين من غير داع أو سابق تحرش منهم، أو أنه ينطوي على نفسه ويتلهى بمص إصبعه. أو يفعل أي أمر من هذه الأمور متأثراً بمزاجه ومقدار قلقه.

أن ابن الثالثة الذي يعرف تماماً أن أمه تهتم به وتحبه بالرغم من سوء سلوكه، لا يقلق كثيراً حينما توبخه أمه بين الحين والآخر. فهي لا تغضب طويلاً ولا تذكره دائماً بسوء سلوكه . فقد يبكي أو يكشر حينما توبخه لكنه سرعان ما

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

يعود سعيداً، إذ ترضى عنه، ويشعر أن أكثر الأعمال التي يقوم بها مقبولة. فحينما يعطي الولد كثيراً من القواعد والأنظمة، وحينما يحتم عليه في الوقت ذاته أن يسيطر على نفسه في مجالات عديدة يصبح حينئذ مضطرباً وبائساً جداً. أن فرص الاستحسان قليلة بالنسبة إليه كما أن اللحظات التي يكون فيها مزعجاً عديدة، ولهذا تراه يبدأ بالاعتقاد بأنه مزعج حقاً. قد يركز بقوة ليسيطر على نفسه فيصبح متوتر الأعصاب كثير الهم والقلق بالدرجة التي لا يستطيع معها أن يبدي نشاطه أو يظهر شعوره خشية أن يرتكب خطأ ما. هنا تجده يصبح مشككاً بنفسه وبما يستطيع عمله. فيتوقف عن العمل، وفي حين أن الوالدين يفخرون بأن لهم في المرحلة التي تسبق الدخول إلى المدرسة ولداً هادئاً وديعاً مطيعاً سيصبحون أشد قلقاً حينما يكون الولد في الصفوف الأولى من المدرسة الابتدائية ويظل هادئاً وديعاً مطيعاً إلا أنه لا يعمل شيئاً.

ومن جهة أخرى، قد يمثل الولد للبيت، لكنه في أمكنه أخرى كالمدرسة أو الباحة قد يكف عن السيطرة على نفسه ويلقي بهومه على غيره من الأولاد، وقد يظهر بعيداً عن البيت نوعاً من السلوك الفوضوي لأنه لم يتعلم أن يصرف حيويته بمنافذ مرضية ومقبولة. ويمكن أن يسمى سلوكه هذا سلوكاً غير مهذب لأن الولد قد لقن ما يجب أن لا يفعله فقط.

وهناك سبب وجيه آخر يحتم على الوالدين أن يتحاشوا قدر المستطاع أن يلصقوا بالولد النعوت التالية: " مزعج، وخبيث"، بسبب سوء تصرف تافه بدر منه. ومن اليسير عليك، حالما تجرب أن تعوض عن تلك النعوت بجمل كالتالية: "لا يا بني ليس هذا الأمر مستحبا حتى تعمله"، أو "هذا كتاب أبيك يا ابني،

الفصل الثاني

وذاك كتابك " ، أو " إليك لوحك الخشبي وباستطاعتك أن تطرق عليه بعنف، أما الأرض فلا تطرق عليها". وحينما تستعمل جملاً كهذه تساعد الولد إذا تضي معنى على اللغة وعلّة تأديبك له أيضاً.

وباستعمالك هذه الجمل الكثيرة التحديد والأحكام تجد نفسك، عن غير قصد لا تستعمل نبرة أو صوتاً عالياً أو قاسياً . وتصبح أكثر موضوعية بالنسبة لسلوك الولد، فلا تكبلك العقد والشعور بأن ولدك (شرير) وتكون أكثر قدرة على إعطائه شروحات هادئة وإيجابية فتشعر باطمئنان أكثر بالنسبة لتوجيهه.

وتجد أن لكل لفظة (لا) ناحية إيجابية تقوها للولد، أو تطلب إليه أن يقوم بها.

حينما تتكلم مع الولد الذي يعمل ما لا يجب أن يعمل، تكلم معه حالاً، وجهاً لوجه ولا تدع الوقت يفوتك. وإياك أن تناديه من الطابق العلوي أو الطابق السفلي. فالولد يبطئ عادة بالاستجابة للنداء. والصوت العالي يظهر الغضب ويخيف الولد. وحينما تكون قريباً منه تستطيع أن تكلمه وفي صوتك لهجة الحديث. وضرب الولد أبناً الثانية أو الثالثة يساعده على الاضغاء إلى ما يقال له ، كما يساعدك أنت على أن تريه بأمر عينه ماذا تقصد بوضعك الأشياء في مكانها حينما تضع مثلاً الحبر بعيداً عنه، أو تضع المقص في سلة الخياطة. أنه لا يفهم كلماتك كلها. لكنك ستدهش باستعمالك هذا الأسلوب، لقلّة استعمالك كلمة (شرير) و (مزعج) ، ولدى الراحة التي تحسها تجاه سلوك الولد.

فبالتفهم والصبر واللفظ نعطي أولادنا صورة عن أنفسهم كأولاد)

مسؤولية الآباء الاجتماعية مع طفل ما قبل المدرسة

طيبين) ونجعل صلتنا بهم موفقة وسعيدة . ونعطيهم فكرة عن السلطة بأنها تساعدكم في أعمالهم ولا تعوقها . فنبين لهم أن قضية (القانون والنظام) ليست أمراً شاقاً إلا أنها تحميهم وتقوي ثقتهم بأنفسهم . والولد التبعي الماهل، هو الذي يشعر أن الراشدين قساء وما عليه إلا أن يحارب سلطتهم. أن ما يتعلمه الولد في سنيه المبكرة يعتبر أساساً لمشاعره تجاه نفسه ولموقفه من الراشدين، إذا أن هذه الأمور كلها تؤثر فيما يتعلمه في المستقبل.

أن تحقيق أهمية الوالدين بالنسبة للولد، يعني للكثيرين من الوالدين قلقهم على أنفسهم وعلى مقدرتهم (كوالدين) . وفي الواقع يجب أن يشعروا بقلق أقل ، بعد أن أصبح معلوماً لدينا بأن السلوك الحسن الدائم لدى الولد غير معروف، وإن الولد الذي لا مشكلات له غير طبيعي، وأن النمو، في أي مجتمع كان ، ليس عملية سلسلة ومنظمة. ولما كان الولد يحتاج حاجة أكيدة لتقدير الوالدين ونيل رضاهم واستحسانهم ، يستطيع الوالدان أن يتقبلوا أخطاءهم برضى دون أن يشعروا بأنهم آذوا الولد أو أساءوا إلى علاقتهم به.

فلا حاجة بالوالدين أن يشعروا أنهم مذنبون إذا لم يستمتعوا بكل ما يفعله الولد، أو إذا تنفسوا الصعداء حينما يذهب ولدهم ليلاً إلى النوم. إذ أن الولد الطبيعي النشط والصحيح كثير الضوضاء والقفز والتشويش أحياناً كما هو كثير التنظيم.

أن بقاء الولد سعيداً راضياً يتطلب من الوالدين الكثير من اللباقة والشجاعة.

كما يتطلب منهم الكثير من الوقت لنظموا له البرامج التي تعطي نشاطه

الفصل الثاني

وحيويته المجال الكافي. ولا أحد -حتى الولد نفسه - يلوم الأم أن الأب الصادق الذي يشعر كأنسان فيتعب من اللعب مع الولد ويجب أن يجلس ويرتاح. وإذا عكسنا الآية فالولد أيضاً يجب أن يعامل بالطريقة ذاته، فحينما يكون متعباً وممتعضاً وعنيداً ولا يتصرف بعقل، فيجب أن لا نتظاهر بالرضى عما يفعله، ولكننا نستطيع أيضاً أن ندع التأديب والقواعد جانباً. كما يجب أن نتحاشى التهديدات والأوامر القاطعة في مثل هذه المواقف. وإذا أخذنا تغيرات الولد هذه كأمر طبيعي بالنسبة إلى الحوادث الحياتية اليومية، ولم نجعلها سبباً في الشجار أو نخلق منها أزمات عائلية، فإنها تزول بصورة لا شعورية وينساها الولد والوالدان، ويبدعون حياتهم معاً من جديد.